

أضواء البيان

@ 14 @ فلذلك كان غير معذور . والعلم عند الله تعالى . .

قوله تعالى : { قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ .
وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ } . .

أمر الله تعالى في هذه الآية الكريمة نبيه صلى الله عليه وسلم : (أن يسأل سؤال إنكار من
حرم زينة الله التي أخرج لعباده ، كاللباس في الطواف ، والطيبات من الرزق كالأنعام ،
والحرث التي حرّمها الكفار ، وكاللحم والودك الذي حرّمه بعض العرب في الجاهلية في الحج .

وشرح في مواضع أخر : أن من قال ذلك على الله فهو مقتدر عليه جل وعلا ، كقوله : { وَلَا
تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ
لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ } ، وقوله : { قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ
سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى
اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } ، وقوله : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ
مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا
قُلْ أَللَّهُ أَزِنَ لَّكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ يَكُونُ * وَ مَا ظَنُّ الَّذِينَ
يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ
عَلَى النَّاسِ وَلَا كُنْ * أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ * وَ مَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ
وَمَا تَتَنَلَّوْا مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنْتُمْ
عَلَيْكُمْ كُفْرًا شُهُودًا إِذْ تُفْعِلُونَ فِيهِ وَ مَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ
مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا
أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ * أَلَا إِنَّ أَوْلَىٰ لِ اللَّهِ لَا خَوْفُ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ *
لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ
لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ
فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَ مَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ *

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ السَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالذَّهَارَ مُبْصِرًا
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا
سُبْحَانَہُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ
عِنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ *
قُلْ إِنَّ السَّادِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ * مَتَاعُ
فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ
بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ * وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَذِبٌ عَالِيَكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِرَتِي بآيَاتِ اللَّهِ
فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا
يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيَّ كُفٌّ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونَ * فَإِن
تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِّنْ أَجْرٍ إِنِّي أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ
وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَذُكِّرْنَا هُ وَامَن
مَّعَهُ فِي الْفُلِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا
بآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْضِرِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ
بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطِيعُ عَلَى قُلُوبِ
الْمُفْضِرِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ
وَمَلَائِكَةٍ بآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ * فَلَمَّا
جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ * قَالَ
مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ
السَّاحِرُونَ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْلَمَ مَا جَاءَنَا عَلَيَّ
ءَابَاءُنَا وَتَكَوُّنَ لَكُمْ مَا الْكَبِيرُ يَأْ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ
بِمُؤْمِنِينَ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * فَلَمَّا
جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ * فَلَمَّا
أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُطْلِئُهُ إِنَّ
اللَّهَ لَا يُضْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ * وَيُحَقِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ
بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ * فَمَّا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةُ
مِّنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ
فِرْعَوْنَ لَْعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُفْسِرِينَ * وَقَالَ مُوسَى
يَا قَوْمِ إِن كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ

مُسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا
بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَبَشِّرِ الصَّادِقِينَ * وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ
وَمَلَائِهِ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلَّوْا عَنْ
سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا
يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرْوُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ
دَعْوَتُكُمْ مَا فَاَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعِ الْآثَانَ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ *
وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَهُمْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودُهُ
بَغْيًا وَعَدُّوْا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَـٰهَ
إِلَّا اللَّهُ الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُوا إِسْرَءِيلَ وَأَنزَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ *
ءَا أَنِ وَقَدْ عَصَيْتَ قِيلٌ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْقَوْمُ نُنَجِّيكَ
بِبَدَنِكَ لَتَذْكُورَ لِمَن خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ
ءَايَاتِنَا لَغَافِلُونَ * وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِيقَاتَ صِدْقٍ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ * فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ
الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مَن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْتَرِينَ * وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَذْكُورَ مِنَ الْخَاسِرِينَ { ، وطلبهم في موضع آخر طلب إعجاز أن
يأتوا بالشهداء الذين يشهدون لهم أن الحرام هذا ، ونهى نبيه صلى الله عليه وسلم إن شهد
لهم شهود زور أن يشهد معهم ، وهو قوله تعالى : { قُلْ هَلُمَّ شُهِدَآءَكُمْ الَّذِينَ
يَشْهَدُونَ أَنَّهُ اللَّهُ حَرَّمَهَا إِذَا كَانَ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُوا مَعَهُمْ }
إلى غير ذلك من الآيات . ! 77 ! قوله تعالى : { حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا
جَمِيعًا قَالَتِ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَآؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَأَتَاهُمُ
عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ } . .

لم يبين هنا السبب الذي مكنهم من إضلالهم ، ولكنه بين في موضع آخر : أن السبب الذي
مكنهم من ذلك هو كونهم سادتهم وكبراءهم ، ومعلوم أن الأتباع يطيعون السادة الكبراء فيما
يأمرونهم به ، وهو قوله تعالى : { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا

وَكُذِبَ آءَانًا فَأَضَلَّ نُوَزَا السَّبِيلَا رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ
 الْعَذَابِ { . وبسط ذلك في سورة (سبأ) بقوله : { وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ
 مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ
 الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا
 مُؤْمِنِينَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنْزَلْنَاهُ
 صَدْرًاكُمْ عَنْ الْهَدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مَّجْرُمِينَ وَقَالَ
 الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ السَّيْلِ
 وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْْعَلَ لَهُ أَندَادًا
 } . .

قوله تعالى : { فَأَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ } . .

وبين تعالى في هذه الآية الكريمة ، وأمثالها من الآيات : أن الأتباع يسألون □ يوم
 القيامة أن يضاعف العذاب للمتبوعين ،